محاضرات مقياس المقاربات الكمية والكيفية

سنة أولى ماستر الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة

المحاضرة الخامسة: أدوات جمع البيانات في البحث الكيفي

تحظى أدوات جمع البيانات في البحث الكيفي بأهمية كبيرة في الدراسات الإعلامية والاتصالية، وذلك لأنها تساعد الباحث الكيفي في الحصول على كم هائل من المعلومات التي تجيب على أسئلة بحثية بالغة الأهمية، كما أنها تساعد على التعمق والغوص في الظواهر محل الدراسة.

من أهم الأدوات البحثية الكيفية نجد: المقابلات المعمقة، الملاحظة، المقابلات الإثنوغرافية وغيرها...، وسنركز في هذه المحاضرة على أداة الملاحظة، التي تحتل أهمية كبيرة في البحوث الكيفية.

الملاحظة:

تعتبر الملاحظة وسيلة هامة من وسائل تجميع البيانات، وقد يتبادر إلى الذهن أن الملاحظة غير مخططة أو تتم هكذا فقط، على العكس من ذلك فإن الملاحظة كأسلوب للبحث يجب أن تكون مركزة بعناية وأن تكون موجهة لغرض محدد وأن تكون منظمة وأن تسجل بدقة وحرص، والملاحظة شأنها في ذلك شأن أساليب البحث الأخرى التي يجب أن تخضع للضوابط العادية كالدقة والصحة والثقة، وتعرف على أنها:

هي: المشاهدة والمراقبة الدقيقة لسلوك أو ظاهرة معينة وتسجيل الملاحظات عنها، والاستعانة بأساليب الدراسة المناسبة لطبيعة ذلك السلوك أو تلك الظاهرة، بغية تحقيق أفضل النتائج والحصول على أدق المعلومات.

وهي: عبارة عن عملية مراقبة أو مشاهدة لسلوك الظواهر والمشكلات والأحداث ومكوناتها المادية والبيئية، ومتابعة سيرها واتجاهاتها وعلاقاتها بأسلوب علمي منظم ومخطط وهادف بقصد التفسير، وتحديد العلاقة بين المتغيرات والتنبؤ بسلوك الظاهرة وتوجيهها لخدمة أغراض الإنسان وتلبية احتياجاته.

وبواسطة هذه الأداة يستطيع الباحث أن يجمع البيانات من المبحوثين من خلال مراقبتهم وتسجيل سلوكياتهم في مواقع تواجدهم، ويمكن عندئذ للباحث أن يلعب دورين خلال قيامه بجمع المعلومات، وهما دور الباحث المشارك، والباحث غير المشارك.

أنواع الملاحظة:

للملاحظة أنواع كثيرة، أهمها:

تقسم حسب **درجة الضبط** إلى:

1-ملاحظة بسيطة: وهي التي تحدث تلقائيا في ظروف عادية، وبدون إخضاع المتغيرات للضبط باستخدام أدوات قياس لدراسة الظاهرة موضوع البحث.

2-الملاحظة المنظمة: وهي التي يحدد الباحث فيها مسبقا معايير وأهداف الملاحظة، وتتميز هذه الأخيرة بتوفر معيار الضبط سواء بالنسبة للباحث أو الجماعة الملاحظة.

تقسم الملاحظة حسب **دور الباحث** إلى:

1-الملاحظة بالمشاركة: وتعني أن الباحث يخضع نفسه إلى الظروف المختلفة لمجتمع البحث، من حيث المشاركة في الحياة العادية لأفراده، والقيام بأعمالهم المختلفة، أي اعتبار نفسه جزءا من المجال المدروس، حيث يتفاعل ويتجاوب مع أفراده كأنه عضو منهم يقاسمهم حياتهم اليومية.

2-الملاحظة دون مشاركة: وهنا يكتفي الباحث بملاحظة المجتمع دون مشاركة أعضائه حياتهم الخاصة، أي إجراء الملاحظة من الخارج بصورة مستقلة ومنفصلة عن المجال المدروس.

تسجيل الملاحظات:

إن التسجيل الفوري الذي يصحب عملية الملاحظة أمر مرغوب فيه، على ألا يتسبب هذا العمل في صرف المفحوص أو الباحث عن متابعة عمله وعلى ألا يكون هذا التسجيل حاجزا بين الملاحظ وأولئك الذين يوضعون موضع الملاحظة، والتسجيل الفوري يفيد في تقليل الأخطاء الناتجة عن النسيان.

كما أنه من المرغوب فيه في ظروف أخرى أن يتم التسجيل بعد فترة من الملاحظة... وعلى كل حال فإن تسجيل الملاحظات يجب أن يتم بأسرع وقت ممكن، حيث تكون التفاصيل مازالت حاضرة في ذهن الملاحظ...

خطوات أجراء الملاحظة

1-تحديد موضوع الملاحظة وأهدافها بشكل واضح.

2-تحديد وحدة الملاحظة (هل هم السائقين؟ أم سلوكاتهم؟ أم طريقة قيادتهم لمركباتهم؟ أم كيفية تفاعلهم مع قانون المرور؟ ...

3-تحديد الظرف المناسب لإجراء الملاحظة، لأن الموضوع محل الدراسة أو الملاحظ يتأثر بالظرف المكاني والظرف الزماني، لذلك يجب على الباحث الملاحظ أن يجري الملاحظة في ظرفها الطبيعي، حتى لا تواجهه أية صعوبات خارجة عن السيطرة.

4-تحديد نوع العلاقة بين الباحث الملاحظ والمبحوثين (علاقة رسمية، علاقة غير رسمية).

5-تحديد كيفية وأسلوب تسجيل الملاحظات.

إرشادات أساسية لضمان الملاحظة الجيدة:

1-أن يحصل القائم بالملاحظة على معلومات مسبقة عن الشيء الذي سيقوم بملاحظته.

2-أن تكون أهداف القائم بالملاحظة واضحة لديه سواء كانت عامة أو خاصة.

3-أن يضع وسيلة ملائمة لتسجيل النتائج وذلك لتقنين أساليب الملاحظات المتعددة أو المستقلة وتحديد الوحدات اللازمة في التسجيل.

4-أن يحدد الفئات التي سيقوم بملاحظتها.

5-الملاحظة بعناية وبنقد أي عدم الملاحظة بطريقة سريعة غير منظمة، كما يجب على الملاحظ أن يعرف موضوع الملاحظة وأن يصنف بياناته، وأن ينمي مهارة الملاحظة لديه.

مزايا الملاحظة:

إن مقدرة الباحث على استخدام الملاحظة بطريقة علمية تعتمد على مقدرته في الفهم والتصور وعلى نظرته وقدرته في التعرف على العلاقات السببية والنتائج وعلى دقته في تسجيل نتائج ملاحظاته، وإذا أحسن استخدام كل هذا كانت ملاحظته جيدة وصحيحة، ولذا ومن هذا المنطلق أهم مميزات الملاحظة التالي ذكره:

1-أنها أكثر الوسائل المباشرة استخداما لدراسة مدى واسع من الظواهر.

2-أنها تتطلب عددا أقل من المفحوصين مقارنة مع الوسائل الأخرى.

3-أنها تسمح بتجميع البيانات في المواقف السلوكية المثالية.

4-أنها تسمح بتسجيل السلوك عند حدوثه.

سلبيات الملاحظة:

1-قد يعمد كثير من الناس عن قصد عند معرفة أنهم موضع تحت الملاحظة، إلى إظهار انطباعات مصطنعة للقائم بعملية الملاحظة.

2-لا يمكن للباحث أن يتنبأ في أحيان كثيرة بوقوع حدث معين، يكون موجودا أثناء حدوثه.

3-كثيرا ما تتدخل عوامل خارجية في عملية الملاحظة.

4-الملاحظة محدودة بالوقت الذي تحدث فيه، وبعض الأحداث قد تستغرق وقتا أطول.

شبكة الملاحظة:

تعني توظيف جميع أنواع الملاحظات، حيث أن هذه الأخيرة تحتاج إلى كم هائل من القدرات والكفاءات والمهارات التي يتوجب على الباحث الملاحظ أن يتشبع بها ويتقنها، كذلك تحتاج إلى استراتيجية محكمة لتنفيذ برنامج الملاحظة وفق ما يسمح بتحقيق الأهداف المخطط لها مسبقا من قبل الباحث.

والجدول التالي يوضح كيفية تدوين وجدولة السلوكات الملاحظة والمدروسة بالاعتماد على شبكة الملاحظة، وهو كما يلي:

نوع الملاحظة	تاريخ الملاحظة	مكان الملاحظة	زمان الملاحظة	أهداف الملاحظة	الموقف الملاحظ	الظروف والملابسات المؤثرة على الموقف
الملاحظة البسيطة غير المقصودة						
الملاحظة العلمية المقصودة						
الملاحظة بالمشاركة						
المجموع						

بالتوفيق للجميع